المحاضرة 12+ 13+ 14: سيميائية الصورة السمعية البصرية و أثرها على الملتقي

أولا: الصورة:

1-تعريف الصورة:

جاء تعريفها بأنها تعني "تمثيل للواقع المرئي ذهنيا أو بصريا، أو إدراك مباشر للعالم الخارجي الموضوعي تجسيدا وحسا ورؤية، ويتسم هذا التمثيل –من جهة- بالتكثيف والاختزال والاختصار والتصغير، ويتميز –من جهة أخرى- بالتضخيم والتكبير والمبالغة، ومن ثم تكون علاقة الصورة بالواقع التمثيلي علاقة محاكاة مباشرة، أو علاقة تماثل"[1].

وعرفها بعض الباحثين بحسب طبيعتها فهي من وجهة نظرهم تحددت في كونها قد "تكون ذات طبيعة لغوية تارة، ومرئية بصرية تارة أخرى، وبتعبير آخر تكون الصورة لفظية ولغوية وحوارية، كما تكون صورة بصرية غير لفظية، وللصورة أهمية كبرى في نقل العالم الموضوعي، بشكل كلي، اختصارا وإيجازا"[2].

2-أنواع الصورة:

قدم عديد من الباحثين خطاطات تصنيفية لأبرز أنواع الصورة، من ذلك نجد ما قدمه "**بول ألماسي** من خطاطة تصنيفية للصورة:

- **الصنف الأول:** الصورة السينمائية: التي تندرج تحتها كل من السينما، التلفزيون، الفيديو.
- **الصنف الثاني:** الصور الثابتة: والتي تنقسم إلى قسمين:
  - ✓ **الصور الجمالية**
  - ✓ **الصور النفعية:** ويدخل تحتها كل من الصور الوثائقية، الصور الإشهارية، الصور الإخبارية"[3].

ومن النقاد "من اختصر تقسيم الصورة إلى قسمين رئيسين: الثابتة والمتحركة"[4]، ومنهم من ارتأى إلى تقسيم الصورة إلى عدة أنواع مثل ما أشار إليه **جميل حمداوي** الذي حدد أنواع الصورة بالشكل الآتي:

- ❖ **"الصورة التشكيلية:** تقوم على الخطوط والأشكال والألوان.
- ❖ **الصورة الفوتوغرافية:** تعد صورة مختصرة للواقع الحقيقي مساحة وحجما وزاوية ومنظورا وتكثيفا، هذا وتتميز الصور الفوتوغرافية بطابعها المهني/ التقني، وطابعها الفني والجمالي، وطابعها الرمزي والدلالي.

- **الصورة الإشهارية:** تعني تلك الصورة الإعلامية والإخبارية التي تستعمل لإثارة المتلقي ذهنيا ووجدانيا، والتأثير فيه حسيا وحركيا، والتأثير في عواطفه لدفعه لاقتناء بضاعة أو منتج تجاري ما.
- **الصورة الكاريكاتورية:** تعني تلك الصورة المرسومة لشخص ما بغية السخرية منه أو انتقاده أو هجائه... ارتبطت الصورة الكاريكاتورية بالصحافة الغربية منذ القرن التاسع عشر الميلادي، وبعد ذلك تأثرت بها الصحافة العربية، هذا ولا يمكن قبول هذه الصورة إلا إذا كانت هادفة وبناءة ومثمرة، تحمل رسائل سياسية مباشرة أو غير مباشرة في خدمة المطلوب أو الغرض أو المقصد النبيل.
- **الصورة السينمائية:** من المعلوم أن الصورة السينمائية هي لقطة بصرية سيميائية متحركة، مرتبطة بالفيلم والإطار وزاوية النظر ونوع الرؤية، وتخضع لمجموعة من العمليات الإنتاجية الفنية والصناعية، مثل: التمثيل، التقطيع، التركيب، العرض.
- **الصورة الرقمية:** ويقصد بها تلك الصورة الحاسوبية التي توجد ضمن فضاءات الشبكة العنقودية،.. .ويمكن أن نجد كل الصور المرغوبة فيها، دون اللجوء إلى التشكيلي أو الفوتوغرافي.
- **الصورة البلاغية:** عرفت الصورة البلاغية أو الأدبية أو الفنية أو الشعرية دلالات متعددة عبر التطور التاريخي، فقد كان الفيلسوف اليوناني أرسطو يرى أن الصورة استعارة قائمة على التماثل والتشابه بين الطرفين المشبه والمشبه به، بل كان يسمي التشبيه والاستعارة صورة"[5].

ثانيا: سيميائية الصورة السمعية البصرية (الصورة السينمائية):

1-السينما ورمزية الصورة:

تعرف الصورة السينمائية بأنها: "لقطة بصرية سيميائية متحركة، مرتبطة بالفيلم والإطار وزاوية النظر ونوع الرؤية، وتخضع لمجموعة من العمليات الإنتاجية الفنية والصناعية"[6].

تساهم عدة عناصر في "صناعة الصورة السينمائية منها المناظر وتنوع الصور التي تعمل على خلق القدرة في استيعاب الفيلم مثل: الديكور، الإكسسوارات، الماكياج، حركات الشخصيات داخل المشهد، حركات الكاميرا، زوايا التصوير، المونتاج، الصوت، الضجيج والموسيقى"[7].

تشير كثير من الدراسات إلى أن الصورة "تلعب دورا مهما في صناعة الخطاب الفيلمي من خلال ما تحمله من رموز ومعاني، بحيث تعبر العديد من الإنتاجات السينمائية عن الظواهر والأحداث بواسطة المشاهد

واللقطات التي قد تبدو للعيان ذات تعبير بسيط لكن في حال ما إذا تعمقنا في خباياها لوجدناها ملأت بالعديد من الدلائل والأيقونات الرمزية إذ يبدو لنا المشهد في ظاهره بأنه يعبر على حالة عادية لكنه في الواقع يعبر عن صور عميقة"[8]، هذا يعني أن الصورة السينمائية "تحمل نوعين من الخطاب، حيث يكون الأول متوافقا مع المشهد المجسد، مما يتيح للمتفرج (المحلل) إدراك الخطاب الأيقوني غير المرمز، وهو ما يعرف بعملية وصف الصورة، في حين أن الثاني هو رمزي وهو الأهم لأنه يتطلب معرفة ثقافية تساعد على إدراكه وتفكيك رموزه وهذا ما يعرف بعملية تأويل الصورة"[9].

تشكل الصورة السينمائية "علامة سيميائية بامتياز، وأيقون بصري ينقل الواقع حرفيا أو خياليا، يعني هذا أن الصورة قد تكون متخيلا فنيا وجماليا، وقد تكون وثيقة واقعية تقريرية ومباشرة، ولا يمكن الحديث عن الصورة السينمائية إلا في علاقتها بالمستقبل أو الراصد الذي يتلقى هذه الصور، ويدخل معها في علاقات وإدراك وتقبل ولذة حسية وذهنية"[10].

خصائص الصورة السينمائية:

يمكن تحديد أهم خصائص الصورة السينمائية في الآتي:

- **"التعددية في الصورة:** الصورة في السينما متعددة ومختلفة،... ولعل تدفق الصور على الشاشة تعطي للمتفرج القدرة على حدس الحركة والاستمرار والتتابع والتداخل والتماسك والوحدة التي لا تتجزأ للفيلم.
- **الحركية:** وهي ميزة أساسية للسينما، وهذا ما يميزها عن الوسائل التعبيرية الأخرى وخاصة بتحريك الكاميرا من مكان لآخر"[11].

ثالثا: مستويات قراءة الصورة:

1-مقاربة هيمسلاف:

يقر "**هيمسلاف**...أنه يوجد مستويين لقراءة الصور سيميولوجيا مستوى تعيين ومستوى تضمين:

أ-المستوى التعييني: وهو القراءة السطحية والأولية للرسالة وبتعبير آخر هو الانطباع الأولي لمستقبل الصورة، بمعنى أننا في بادئ الأمر نتعرف على الأشكال والخطوط والألوان المشكلة للرسالة والممثلة لدليل ما"[12]، ونجد ضمن هذا المستوى عناصر منها:

- "**الرسالة التشكيلية:** وهي مجموعة الدلائل المشكلة للعناصر التقنية، وتتضمن الدراسة التشكيلية مايلي:
- ✓ **الحامل:** ويقصد به المادة التي تطبع عليها الصورة وحجمها (ملصق، صفحة مجلة، فيلم، فيديو،...).
- ✓ **الإطار Le Cader :** يقصد به الحدود الفيزيائية للصورة، والذي يفصل مختلف التعيينات عن بعضها البعض وطريقة توزيعها في الصورة، كما يمثل الحواف البيضاء التي تترك على الصورة.
- ✓ **التأطير:** يتمثل في حجم الصورة ويتعلق بالمسافة بين الموضوع المصور وعدسة الكاميرا.
- ✓ **الأشكال:** المنغلقة منها تعطي إحساسا بالهدوء، الإتباع والدقة والكمال، الشكل المتعدد الزوايا يرمز إلى القساوة والانغلاق.
- ✓ **حجم الخطوط:** إذا كان سميكا فإنه يدل على القوة والخشونة أما إذا كان رقيقا فإنه يدل على الضعف واللطافة.

ب-المستوى التضميني:

والتضمين هو القراءة المعمقة للرسالة أي قراءة ما بين أسطر النص وقراءة ما وراء الصورة لمعرفة الدلائل والرموز التي تحملها وتحدد هذه الدلائل في القيم السوسيوثقافية بالنسبة لكل مجتمع"[13].

2-**مقاربة رولان بارت:**

تقوم مقاربة الصورة عند رولان بارت "على ثلاث مراحل متكاملة تتضمن كل مرحلة خطوات إجرائية خاصة:

أ-الدراسة الشكلية: وتسمى أيضا بالدراسة التقنية وتتضمن هذه الدراسة:

- ❖ **الدراسة المورفولوجية:** أو ما يسمى بالمدونة أو الشفرة الهندسية وهي السيرورة الدلالية لبناء الصورة، شكلها، خطوطها، محاورها التركيبية.
- ❖ **الدراسة الفوتوغرافية:** وهو المجال الذي يتم فيه مساءلة العناصر الفنية المتعلقة بالتأطير، اختيار الزوايا وما يقابلها من جانب المتلقي من حركة العين.
- ❖ **الدراسة التيبوغرافية:** ويتم فيها تحليل الإرسالية اللغوية أو اللسانية من حيث طريقة كتابتها (حجم النبط، قياس السطر، طراز الحرف)، طريقة وضعها والمساحة المخصصة لها.

❖ **دراسة الألوان:** أو ما يسمى بالمدونة أو الشفرة اللونية، وفي هذا المجال البحثي يتم تحليل قوة وقيمة الألوان المستعملة طبيعتها ومدى طغيانها أو العكس.

وغالبا ما يضاف إلى هذه الخطوات الدراسية محورا آخر يتعلق:

❖ **بتحديد الأشخاص الظاهرين في الصورة**: سنهم، جنسهم، ملابسهم"[14].

وتجدر الإشارة هنا إلى نقطة جوهرية مفادها أن هذا "المحور الدراسي –الدراسة الشكلية بخطواتها الإجرائية فيما يعرف سيميائيا بتحديد طبيعة الدليل يندرج هذا المحور في محور نظرية تسمى بالتعيين.

ب-الدراسة التأويلية أو التضمينية: وهو المجال الذي يتم فيه استقراء آليات الدلالة داخل عالم الصورة.

ج-الدراسة الألسنية: وهو المجال الذي يتم فيه دراسة علاقة الكلمة –الإرسالية اللغوية- بالمكون الإيقوني الصورة"[15].

رابعا: أثر الصورة على المتلقي:

من المعلوم أن للصورة بمختلف أنواعها وقع وتأثير كبير على كل المتلقين باختلاف أجناسهم وسنهم ولعل من أبرز مظاهر تأثير الصورة على المتلقي يمكن رصد بعضها في الآتي:

-"تستطيع الصورة أن تلعب دورا فعالا ومؤثرا كوسيلة اتصال إنسانية عامة تساعده في حياته.

-تعطي الصورة للمتلقي إحساسا بالشعور بأنهم يشاهدون ويشتركون في الحدث.

-توضح الصور للمشاهدين ردود أفعال ومشاعر الناس المشتركين في الأحداث ويمكن من خلال الصور التعبير عن عاطفة الفرح، الحزن، الخوف، الغضب وذلك أكثر من الكلمات.

-الصورة تجعل من المتلقيين عاطفيين، وذلك بإثارة الذكريات الماضية وتوقعات المستقبل"[16].

الهوامش:

[1]-أمال قاسيمي، الصورة البصرية بين الاسهامات البحثية وتمظهرات المعنى، مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والإتصالية، مج: 6، ع: 1، 2018، ص: 4.

[2]-المرجع نفسه، ص: 4.

[3]-المرجع نفسه، ص:5.

[4]-المرجع نفسه، ص:5.

[5]-المرجع نفسه، ص: 5 وما بعدها.

[6]-المرجع نفسه، ص: 7.

[7]-نفيسة نايلي، مساعدي سلمى، رمزية الخطاب السينمائي من خلال الصورة (قراءة في عينة من الأفلام السينمائية)، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج: 5، ع: 1، جوان 2019، ص: 32.

[8]-المرجع نفسه، ص: 32.

[9]-المرجع نفسه، ص: 34.

[10]- أمال قاسيمي، الصورة البصرية بين الاسهامات البحثية وتمظهرات المعنى،ص: 7.

[11]-سماش سيد أحمد، سيميائية الصورة السينمائية وتأثيرها، مجلة أنثروبولوجيا، مج: 3، ع: 6، 2017، ص: 41- 42.

[12]-رضوان بلخيري، سيميائية الخطاب المرئي؛ إشكالات التلقي والتأثير (دراسة في الأبعاد الدلالية للصورة السينمائية)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع: 7، ص: 148-149.

[13]-المرجع نفسه، ص: 149- 150.

[14]-فايزة يخلف، سيميائيات الخطاب والصورة، منشورات دار النهضة العربية، بيروت- لبنان، ط1: 2012، ص: 120- 121.

[15]-المرجع نفسه، ص: 121- 122.

[16]-غوار نادية، سيميائية الصورة بين المخاطبة السينمائية والتفكير الفلسفي، مجلة آفاق سينمائية، ع: 5، ص: 69.